الموارد التعليمية المفتوحة: نحو منظومة تعلم تشاركية

ليزا بتريدس



الملخص:

يناقش المقال الموارد التعليمية المفتوحة بوصفها تحولًا يتجاوز خفض تكلفة المحتوى إلى بناء منظومة تعلم تشاركية تتمحور حول المتعلم وتعزز مهنية التدريس. ويشرح دورة نشر المواد بترخيص مفتوح وتكييفها وتحسينها وإعادة مشاركتها، بما يحولها إلى معرفة متجددة متاحة على نطاق واسع. كما يربط الإتاحة المنصفة بالتمويل العام لإنتاج المحتوى، ويعرض أثر التعاون في تطوير المناهج وتمكين المعلمين من قيادة العمل التربوي بدل ممارسته في عزلة. ويستشهد بتجربة (OER Commons) في تجميع الموارد وبناء شبكات للتواصل والتطوير المهني. ويؤكد أهمية فهم حقوق المؤلف والتراخيص وتهيئة بيئات اجتماعية تدعم انتقال المعلمين والمتعلمين من استهلاك التعليم إلى المشاركة في إنتاجه وتحسينه وبناء الخبرة المشتركة المستمرة.

الكلمات المفتاحية: الموارد التعليمية المفتوحة، التعلم التشاركي، مهنية التدريس، (OER Commons)، تراخيص المحتوى

مقدمة:

طُلب مني أن أشرح لماذا قد يكون دخول الموارد التعليمية المفتوحة إلى منظومة التعليم واحدًا من أهم التطورات التي شهدها التعليم خلال المئة سنة الماضية. وربما كنا سنشير في القرون السابقة إلى المنهج السقراطي، أو ظهور التعليم العام، أو تنظيم الدراسة وفق التقويم الزراعي. وقد أسهم كل منها في نقل جانب من التعلم إلى المجال العام بصورة أوضح.

وبالمثل، أحدثت الموارد التعليمية المفتوحة تحولًا واسعًا، بل فاجأت بعض المعنيين بالتعليم. والمقصود بها، بصورة عامة، محتوى تعليمي يتاح استخدامه ومشاركته بحرية، مع إمكان تعديله وإعادة إتاحته في المشاع. فلماذا اكتسبت هذه الأهمية؟

لأنها توفر أساسًا يتمحور حول المتعلم، ويجمع التقنية والتعليم جمعًا فعليًا، ويعزز الوصول المنصف إلى الموارد، ويساعد أحيانًا على إعادة الاعتبار لمهنية التدريس.

من المشاركة إلى التحسين المستمر:

الفكرة بسيطة من بعض الوجوه: أعد خطة درس وأنشطة لصفي، ثم أنشرها على الإنترنت بترخيص يسمح للآخرين باستخدامها دون مقابل، ومشاركتها وتكييفها لاحتياجاتهم، وإعادة نشرها كي يستفيد منها آخرون. ثم يأتي معلم آخر، فيجد الخطة مفيدة لكنه يرى أن جانبًا منها يحتاج إلى إصلاح. فيعدل المحتوى ويحسنه ويضيف أنشطة، ثم يعيد نشره.

وتتكرر العملية. وتكمن قيمتها في أن المادة تدخل دورة تحسين مستمرة، وتصبح متاحة لأي شخص في العالم. وإذا كان المعلمان يعملان في مؤسسات عامة تمولها الدولة، كمدرسة حكومية أو كلية أو جامعة عامة، فقد موّل الجمهور أصلًا إنتاج هذا المحتوى من الضرائب.

وفي الحالتين يشير الترخيص المفتوح إلى نشوء مشاع يستطيع فيه الناس جميعًا، معلمين ومتعلمين، الوصول إلى معرفة العالم: معرفة مجانية قابلة للمشاركة والتجدد وإعادة التركيب.

قيمة تتجاوز خفض التكلفة:

في بدايات حركة التعليم المفتوح، قيل إن المحتوى المجاني قد يوفر ملايين الدولارات على قطاع التعليم إذا استغنى عن الكتب الباهظة. وربما أمكن الاستفادة من دروس التحولات التي أصابت صناعة التسجيلات الموسيقية. لكن تيسير التكلفة ليس إلا جزءًا من القيمة؛ فما يهمني بالقدر نفسه، بوصفي تربوية، هو ما يمكن أن تضيفه الموارد المفتوحة إلى مهنية التدريس.

في معهد دراسة إدارة المعرفة في التعليم (ISKME)، أظهرت أبحاثنا في التعليم المفتوح وعملنا مع المعلمين حول العالم أن انخفاض التكلفة وسهولة الاستخدام كانا دافعين أوليين، لكن المحتوى المفتوح يشجع أيضًا أنماطًا جديدة من التعاون في تطوير المناهج، ويعزز التعلم المتمحور حول الطالب. وهو يعيد المعلم إلى موقع القيادة بوصفه خبيرًا في التربية.

والأفضل أن هذا العمل لا يجري في عزلة كما يحدث لكثير من المعلمين، بل في مساحة مفتوحة تشجع التعاون والتحسين والإتاحة والابتكار.

تجربة (OER Commons):

من أمثلة ذلك شبكة (OER Commons) التابعة للمعهد، التي تركز على انتقاء المحتوى المفتوح وتجميعه من أكثر من مئتي شريك، من بينهم (NASA) ومبادرة (MIT OpenCourseWare) و(WGBH) وغيرهم. وقد تطورت هذه الشبكة لتدعم التواصل والتطوير المهني بين معلمين من أنحاء العالم يتعاونون في تحسين المحتوى المفتوح وإنشائه.

وكان من عناصر العمل الأساسية تعريف المربين بحقوق المؤلف وتراخيص المحتوى، وإدخال بيئات للتعاون الاجتماعي تحفز المعلمين والمتعلمين على الانتقال من ثقافة استهلاك التعليم، التي يقدم فيها المعلم ويشتري الطالب، إلى ثقافة يكتسب فيها الطرفان القيادة والدعم لمشاركة الخبرة وبنائها من الداخل.

فترى ماذا كان سقراط سيقول عن ذلك؟